الباب الثالث

الإسلام ومعالم الحضارة الإسلامية

لقد كانت للهجرات الإسلامية إلى الساحل الشرقى لأفريقية آثار بعيدة المدى، فى تطور معالم الحضارة الإسلامية فى تلك البقاع، وكذلك فى تطور العلاقات العربية الأفريقية، والتى كان من آثارها ذلك البعد المتعلق بالآثار المباشرة لهذه الهجرات العربية فى الساحل الشرقى ودور الإسلام فى اثراء حركة التجارة، وما يؤدى إليه من تطور حضارى وثقافى، كذلك فإن لتطور معالم العلاقات بين العرب وبين منطقة الساحل الشرقى لأفريقيا ابعاده فى تغيير المعالم التاريخية والثقافية فى الساحل الشرقى للقارة بأقسامه الثلاثة: أقليم أرتيريا (بر سعيد) وبر البنادر ، بر الزنوج .

ذلك لأن انتشار الإسلام وأهله فى تلك المناطق الساحلية، منذ القرن الأول الهجرى- كما سبق الإشارة فى الباب السابق- أدى إلى ظهور الآثار العربية الإسلامية، والتى منها كثرة المدن والمنازل العربية، بالإضافة إلى الأسلوب الثقافى الحضارى واللغة العربية، التى انتشرت على أيدى هؤلاء النازحين، والتى كانت فى بداية الأمر تتعدى الساحل والجزر القريبة من الساحل- ولقد تزايدت أعداد العرب والمسلمين، وامتدت مناطق استيطانهم على طول الساحل من إقليم أرتيريا إلى القرن الأفريقى، المواجه للجزيرة العربية حتى سفالة، وهى أقصى المناطق، التى ظهرت فيها كثافة العرب فى شرق أفريقيا، وإن كان ذلك لا ينفى وصول العرب إلى جنوب القارة الأفريقية . ومن هنا فقد كانت هناك بعض الشواهد التاريخية، التى تدل على ظهور معالم الحضارة الإسلامية بصورة قوية وفعالة، فى تلك البقاع وامتداد الامارات الإسلامية، وقد انتعشت تلك الإمارات فى أثر تلك الهجرة، وقد أدى ذلك إلى ازدهار حضارى ثقافى إسلامى وتجارى، وساعد على حركة النشاط التجارى فى الساحل الشرقى لأفريقية .

وإذ كانت مرحلة المد الإسلامى قد اقتصرت فى القرون الأربعة الهجرية الأولى، حتى القرن العاشر الميلادى قد على الجزر القريبة من الساحل، ونعنى بها جزر زنجبار وبمبا ولامو ومانيا، إلا أن الفترة اللاحقة بدءاً من القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى، قد شهدت انتشار الهجرات العربية إلى المناطق المواجهة للجزر، ثم أخذ العرب يتوغلون فى الداخل، وقد أدى ذلك إلى تكوين إمارات وسلطنات عربية أفريقية .

وإذا كان الغرض التجارى هو الغالب على هذه الجماعات العربية الإسلامية، إلا أن

الدعوة الإسلامية كانت تحتل الجانب الأكبر من عمل هؤلاء التجار ، كما أن فكرة الإستقرار لم تتخذ أى نوع من الأفكار الاستعمارية، مثلما ظهر بعد ذلك فى عصر الاستعمار الأوروبى البرتغالى والإنجليزى والألمانى والفرنسى والإيطالى لتلك البقاع ، كما أن التوطن العربى الإسلامى لم يكن لاستغلال الأرض والموارد لحساب المسلمين العرب وغيرهم من الفرس والهنود ، ثم الانتشار فى داخل القارة لم يكن للاستغلال أيضا ، بل كان للدعوة الإسلامية والتجارة .

بل إن ابرز معالم الدور الإسلامى، أن الدعوة الإسلامية استطاعت- بما حملته من قيم إسلامية ومبادىء روحية وتعاليم إسلامية ومفاهيم انسانية وحضارة عربية- أن تؤثر فى حياة هذه الشعوب البدائية الوثنية تأثيراً بعيداً ، وأن تؤتى ثمارها الطيبة فى الأرض الطيبة ، حتى لقد نقلت التعاليم الإسلامية الرجل الأفريقى من حالة البدائية الوثنية، إلى حالة من التقدم والرقى، وبدأت تأخذ به المعالم الحضارية الإسلامية إلى مدارج الحضارة الإسلامية السمحة، وأخذت بيد كل سكان المنطقة حيث مبدأ المساواة بين الأجناس والألوان لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، وذلك لكى يشارك الآفارقة فى بناء القارة الأفريقية، وذلك انطلاقاً من منطلق الدعوة، فى أن يدعو بنى جنسه من الآفارقة إلى الدخول فى دعوة الحق، ولكى يحتل بالإسلام وعن طريق الإيمان مكانه اللائق فى الأسرة الإسلامية، ومن هنا جاءت رغبة هذه الشعوب القوية فى أداء فريضة الحج، والتمسك بالتعاليم الإسلامية، وتطبيق الشريعة الغراء، فى كل أمر من أمورهم وشئون حياتهم، وبذلك استطاع الإسلام أن يقفز بهذه الشعوب قفزات كبيرة فى مصاف التقدم والرقى .

ومن ثم ظهرت أبعاد تلك الدعوة الإسلامية فى الاستقرار على الساحل، لم يكن عشوائياً، بل كان يتم اختيار كل نقطة لكى تكون مركزاً للدعوة والتجارة، بل تكون وكالة تخدم النشاط التجارى، ولذلك كان يتم اختيار مراكز الاستيطان؛ بحيث تكون لها مزايا التجارة والدعوة للإسلام، وأن تمثل تلك النقاط التجارية ميناء من الموانى المنتشرة على طول الساحل؛ مما يسهل معه الاتصال بداخل القارة، كما أنه يمكن الاتصال أيضا بسواحل الجزيرة العربية المقابلة ، ولقد كان الغرض من الهجرة العربية ليس التجارة . كما حاول أن يصور ذلك كتاب الغرب، ولكن كان الهدف الأساسى لعديد من الهجرات العربية الاستقرار الدائم والدعوة للإسلام ؛ لأن التجارة مهما كانت أبعادها وأهدافها لم تكن تستدعى الاستقرار النهائى، وصحب الأسرة والزوجة والأولاد، بل إن منطقة ساحل أفريقيا الشرقية

شهدت هجرة قبائل كبيرة لقبائل الإزد، وآل نبهان، وآل الحارث، وغيرهم من الأسر العربية والفارسية .

ولكن لابد أن نأخذ بالفرض التجارى أيضا؛ لأنه كان يستدعى الاستقرار بجانب الدعوة الإسلامية؛ حيث كان ذلك بعداً آخر للاتصال بداخل القارة، وتسهيل حركة الوصول إليه؛ حيث يتم نقل الحاصلات الداخلية إلى الموانىء الساحلية للإتجار فيها، وكذلك استيراد ما يمكن استيراده من بضائع الجزيرة العربية والشرق الإسلامى؛ لكى يتم تصريفه داخل القارة ولذلك لم تهتم الجماعات العربية بامتلاك الأراضى، واستغلال السكان فى زراعتها إلا بالقدر، الذى يستدعى حماية مراكز الاستقرار وسد حاجة هذه الوكالات. ومن ثم كانت رقعة الإمارات العربية على الساحل الأفريقى ضيقة ، إضافة إلى أن العرب. من أجل العمل فى المجال الاقتصادى، قاموا بنقل حاصلات المنطقة مثل العاج والذهب وريش النعام والعسل والجلود ، والموز واللؤلؤ والصمغ واللبان، وغيرها من منتجات الداخل والساحل ونقلها إلى البلاد المطلة على المحيط الهندى، كما ظهرت هذه السلع فى الأسواق العربية فى الجزيرة والشام والعراق ومصر وفارس ، ومن هنا فإن القرن الرابع الهجرى، العاشر الميلادى، شهد بناء بيوت مدينة سيراف على الساحل الشرقى للخليج العربى بأخشاب تم استيرادها من زنجبار .

إلا أن المرحلة الأولى للاستقرار العربى، كانت العوامل الطبيعية من العوامل التى أثرت إلى حد ما فى عدم الانتشار إلى الداخل؛ حيث كانت التضاريس، والمناخ والغابات تمثل عوائق، تحول دون انطلاق العرب لحد ما على التوغل لمسافات بعيدة فى الداخل، ولذلك اقتصر التوغل فى الداخل على القدر الذى تخدم الغرض التجارى؛ إذ كان من أهداف هذه الامارات التى ظهرت فى تلك المناطق هو تسويق منتجاتها الواردة من الجزيرة العربية وجهات آسيا ومبادلتها بمنتجات الأقاليم الداخلية، ومن هنا كان التوغل بقدر ما تحتاج إليه عمليات تلك المبادلة .

لكن الذى لاشك فيه أن الدعوة الإسلامية كانت تسير بجانب التجارة؛ لأنه أينما سارت التجارة العربية سارت معها الدعوة الإسلامية إن لم تكن تسبقها ، ولقد كان العمل التجارى فى الداخل يستدعى أن تقوم هناك حملات، تصحب القوافل لحمايتها من سطو اللصوص، أو تعرض زعماء القبائل لرجال القافلة ونهب المواد التجارية؛ وذلك لأن تلك الحملات كانت تضمن وصول القافلة إلى أهدافها وأماكنها المرسلة إليها، كذلك كان يتم هناك عقد اتفاقيات تجارية مع الزعماء الافارقة فى الداخل، ولذلك كان الاستقرار العربى فى الداخل يأخذ أبعاداً أخرى حيث تسهل اقتحام الداخل وتوغل العرب، حتى حوض الكونغو

وهضبة البحيرات الاستوائية، وكل الأقاليم الاستوائية؛ حتى وصل العرب فى بعض المراحل التاريخية إلى الشاطىء الغربى للقارة، كما شهد بذلك ستانلى وكميرون فى رحلاتهم فى حوض الكونغو.

وهذه نقطة مهمة فى تاريخ الاستقرار العربى الإسلامى، والحصول على معلومات مهمة عن الداخل، ومعرفتهم ببعض الجهات لداخلية فى القارة الأفريقية .

وبالنسبة للأقاليم الشمالية التى تقع شمال الصومال، فقد بدأت عودة العلاقات التجارية وتوطيدها فى القرن العاشر الميلادى الرابع الهجرى ، ، حيث بدأت سفن اليمن تبحر من زبيد فى طريقها إلى موانى شرق أفريقيا ، وكان ذلك معناة اتساع أفق المبادلة التجارية بين الحبشة وبلاد العرب، وقد توسع الطرفان فى تبادل منتجات كل منها إلى أبعد حدود، ولقد شهد هذا القرن نمو المدن الساحلية المزدحمة بهؤلاء التجار المسلمين، المشتغلين بتجارة تلك الأقاليم .

ومن هنا ظهرت فى هذا العصر جاليات إسلامية قوية فى دهلك وسواكن وباضع ومصوع وزيلع وبربرة، ويجمع كتاب القرن العاشر من المسلمين جميعهم على ظهور هذه المدن العربية الإسلامية الزاخرة بالحياة الإسلامية فى جميع جوانبها (انظر. جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ص٤٤ – ٤٥) .

وقد تحدث ابن بطوطة فى النصف الثانى فى القرن الرابع عشر الميلادى فى رحلته، التى قام بها عام ١٣٣١م إلى منطقة شرق أفريقيا؛ حيث وصف لنا مظاهر الحضارة الإسلامية فى زيلع ومقديشيو وممبسة وكلوه؛ فقد أورد تفاصيل ثلاث مراكز على الساحل الشرقى من أفريقيا؛ حيث تحدث عن مقديشيو، فذكر أن المسافة بينها وبين زيلع خمسة عشر يوما، وهى مدينة متناهية فى الكبر، ولها نشاط تجارى ملحوظ، كما أن لها صلات وطيدة ببلاد الجزيرة العربية ومصر، وتصنع بها الثياب الرقيقة المنسوبة إليها، والتى لا نظير لها، وتحمل منها إلى ديار العالم العربى ومصر وغيرها، كما أضاف أن القاضى الذى استضافه فى مقديشيو أثناء إقامته بها، يدعو ابن البرهان المصرى، وأنه افاض فى تحضر مقديشيو، وأن سلطانهم يجيد اللغة العربية وأنه يتكلم المقديشية، وأنها وصلت إلى درجة عالية من التطور، وأصبحت لها أنظمة وتقاليد خاصة بها ، كما تحدث عن دور الفقهاء والعلماء وذوى الرأى وكيفية إدارة الإمارة ومدى تطبيقهم للشريعة الإسلامية ، ثم كيف أن الحياة الاقتصادية بها قد تطورت بتطور النهضة الإسلامية، وما وصلت إليه السلطنة من اتساع النفوذ ونمو مطرد فى التجارة .

كما أنه تحدث عن مدينة ممبسا فقال إنه يغلب على أهلها المذهب الشافعى، وأن مساجدها مبنية من الخشب ، أما عن مدينة كلوه فقد وصفها بأنها مدينة ساحلية عظيمة أكثر أهلها من الزنوج، وهى من أحسن المدن وأتقنها عمارة، وكلها مبنية من الخشب، وأهلها أهل جهاد؛ من أجل نشر دين الله والدعوة له بالوسائل السلمية؛ لأنهم فى بر واحد متصل مع الزنوج، وأنه اشار إلى انتشار الإسلام على نطاق واسع بين الزنوج، وأن هؤلاء يغلب عليهم الدين والصلاح، وأنهم ينتمون إلى المذهب الشافعى أحدى مذاهب السنة، كإخوانهم سكان ممبسا؛ مما يدل دلالة قاطعة على غلبة مذاهب السنة على ما عداها من مذاهب إسلامية أخرى .

وذكر ابن بطوطة عن كلوه أنها كانت على صلة وثيقة وعلاقات طيبة بالعالم العربى الإسلامى كالعراق والحجاز وجنوب الجزيرة، وكذلك تحدث عن سلطانها السلطان «أبو المظفر حسن» والذى كان يكن بأبى المواهب، والذى ذكر عنه أنه كان كثير الغزو فى أرض الزنوج؛ من أجل نشر لواء الإسلام، وتعميق رسالة الإسلام فى البقاع الداخلية، ومجاهدة الكفار الوثنيين بكثرة الإغارة عليهم؛ حيث كان يأخذ منهم الغنائم؛ حيث تخرج منها ويصرفها فى الأوجه المعينة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويجعل نصيب ذوى القربى فى خزانة على حدة، فإذا جاء الشرفاء دفعه إليهم، وكان الشرفاء يقصدونه من الحجاز والجنوب العربى والخليج والعراق، وغيرها من الأقطار .

وتحدث كذلك عن كيف أن نفوذ كلوه قد امتد إلى ممبسا إثر المصاهرة، التى تمت بين البيتين الحاكمين فى كل من كلوه وممبسة، وعلى الرغم من أنه وصف كلوه بطريقة لم يسبقه إليها أحد من الرحالة العرب، فإنه لم يتوسع فى الحديث عن علاقة سلطنة كلوة من الناحيتين السياسية والتجارية بغيرها من المناطق، خاصة وأن كلوه فى القرن الثامن الهجرى، كانت أهم مركز إسلامى فى ساحل شرق أفريقيا، وكانت حركة الاستيطان العربى والإسلامى قد بلغت أقصى حدًا لها من القوة والاتساع. ومما هو جدير بالذكر أن فى الوقت الذى وصل فيه ابن بطوطة إلى ساحل شرق أفريقيا، وهو نهاية الثلث الأول من القرن الرابع عشر الميلادى، كانت معظم مناطق الساحل تنتمى إلى العرب؛ حين جاءت موجة كبيرة من مهاجريهم، فى خلال النصف الثانى من القرن الثالث عشر، على إثر اجتياح المغول دار الإسلام فى العراق، ولحق هؤلاء المهاجرون ببنى جلدتهم، الذين سبقوهم فى الهجرة إلى ساحل شرق أفريقيا .

وقد جاء المهاجرون الجدد بدماء دافعة، ظهر تأثيرها فى كل المعالم الحضارية الإسلامية؛ حيث ظهرت آثارها فى فن البناء والمدن والعمارات الزاهرة والمساجد ومبانى الإدارة الحكومية والسلطنة وأسواقهم الباهرة، التى فتنت خيال ابن بطوطة، حين قدم إلى ذلك الإقليم؛ حيث استطاعت هذه المجتمعات بعد أن تنوعت مصادر ثروتها، أن تصل إلى درجة عالية من الثراء والازدهار الحضارى، حيث الغنى والترف والرفاهية، ويظهر كل ذلك فى وصف ابن بطوطة لمدن الساحل الشرقى لأفريقيا .

وعلى الرغم من أن ابن بطوطة كان على معرفة ودراية تامة، بل على معرفة وثيقة بالمجتمعات الإسلامية المتطورة والمتحضرة والمزدهرة حضاريا، والتى تنعم بمظاهر الحضارة الإسلامية فى قلب العالم الإسلام ، إلا أنه قد تعجب لمظاهر الثراء الكبير والحياة الرغدة التى رآها فى شرق أفريقيا، بحديثه عن مدينة كلوه، والذى يوحى بأنها كانت من أجمل بقاع الأرض وأكثرها رونقاً وبهاء . وأنها صبغت بحياة إسلامية متقدمة لاتختلف عن أى بلد من بلاد الشرق الإسلامى، وكذلك حديثه عن ممبسا ومقديشيو؛ حيث أعطى صورة شبه ناطقة لهذه المجتمعات الفنية، التى ظهرت فيها معالم الحضارة الإسلامية بأزهى صورها وأحلى مباهجها .

وقد زادت هذه المدن سعة فى المال، وزيادة فى أعداد الجاليات الإسلامية الوافدة، وفى دخول النازحين إليها من أهل البلاد فى الإسلام ، بل إن الحياة الإسلامية حافلة بجميع مظاهرها التى تشهدها فى هذه المدن الساحلية، ولابد أنها سارت فى طريق النمو الحضارى طوال القرون القادمة، حتى قدوم رجال الاستعمار البرتغالى. وعلى أية حال فقد شهدت الفترة الواقعة بين القرن العاشر ومنتصف القرن الثالث عشر الميلادى توطيد النفوذ الإسلامى فى السهل الساحلى، وظهور ونمو الإمارات الإسلامية .

ولم يكن من المعقول أن يظل النفوذ الإسلامى حبيسا فى هذه المدن الساحلية، بل كان لابد أن ينفذ إلى الداخل ، حيث كان هؤلاء التجار العرب يخالطون رؤساء القبائل والتجار من أهل البلاد الأصليين، ويتزوجون من نسائهم، ويوطدون صلاتهم بهم إلى أبعد الحدود ، بل كانوا هؤلاء التجار يفتحون المراكز الإسلامية، المتمثلة فى كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم وانتشار المساجد التى يعرفها المصلون من أبناء الأفارقة ، بل أنهم كانوا يرسلون الطلاب المتفوقين من العرب والأفارقة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدن اليمن وساحل عمان أو القاهرة أو دمشق ثم بغداد فيما بعد، وكانت هذه المدن الساحلية أسواقاً ضخمة

يقصدها أبناء البلاد الأصليين من الزنوج والبانتو والصوماليين والأحباش، وغيرهم من الطوائف الأفريقية، لبيع حاصلاتهم الزراعية ومنتجات البيئة الاستوائية، وأنهم كانوا يعودون بعد أن اختلطوا بالعرب المسلمين، ويحملون معهم فى رحلة العودة كل ماهم فى حاجة إليه من تجارة العرب والشرق الإسلامى ، بل إن منهم من كان يقصدون الساحل بقصد الإقامة والاحتكاك بالعرب والاشتغال معهم، فكان اختلافهم إلى هذه المدن يتيح لهم الاحتكاك بالحياة العربية الإسلامية عن قرب، ومن ثم التأثر بكل المظاهر الحضارية الإسلامية، وكان كل ذلك يدفعهم إلى اعتناق الإسلام، ومن ثم ينشرونه بين ذويهم، إذا عادوا إلى بلادهم ، بل أكثر من ذلك فإن نفوذ هؤلاء التجار العرب كان يتجاوز المناطق الساحلية ممتدا إلى الداخل، فكانوا يرحلون إلى المناطق الداخلية التماساً للتجارة، ومن ثم يقيمون بعض الوقت، ثم ينحدرون إلى الساحل، وفى فترة إقامتهم يخالطون الناس، ويعاشرونهم ويحتكون بهم، وينشرون الإسلام وتعاليمه ومظاهره الإسلامية بينهم، ومن ثم كانت الصدافات مع السكان الأفارقة تتطور إلى دعوتهم للإسلام، قبل القيام بالمبادلة التجارية، والقيام بأعمال البيع والشراء، وكانت كل هذه المساعى أحياناً كثيرة، بل فى الأغلب تحقق النجاح والهدف المنشود، من الوصول للداخل والدعوة للاسلام؛ حيث إنه كثيرا ما كان يتم اعتناق الأمير أو الحاكم للاسلام، ومن ثم تتبعه حاشيته ورعيته وكل قبيلته.

وقد ترتب على توثيق العلاقات العربية الأفريقية بين العرب الوافدين وسكان البلاد الأصليين فى شرق أفريقيا أن تواقد كثير من الأفارقة إلى البلاد العربية، كالجزيرة والعراق والشام ومصر، وهناك كثير من صلات الترابط والزواج والانصهار فى المجتمع؛ حيث إن العقيدة الإسلامية فى جوهرها قائمة على إفساح المجال أمام كل الشعوب الإسلامية؛ لكى تكون منصهرة فى بوتقة الإسلام ، والمعروف أن الدولة العباسية منذ أن قامت ١٣٢هـ / ٧٥٠م قامت على عدم التمسك بسيادة العرب، وأنهم جوهر الإسلام، وإنما قامت هذه الخلافة على إفساح المجال امام كل العناصر الإسلامية؛ لتشارك فى بناء الدولة الإسلامية وترتب على ذلك هجرة عديد من الزنوج ، حتى أنه يذكر أنه فى عهد الخليفة العباسى أبو العباس المنصور كان فى جندة اربعة آلاف زنجى، فى الجيش الإسلامى، وهذا يعطى المثل الأمثل لأخوة الإسلام، التى لا تفرق بين الألوان والأجناس ، وقد تكون هذه القوات وغيرهم من أبناء الزنوج قد قدمهم الوطنيون إلى التجار العرب كرقيق من أسرى الحروب الوطنية، التى كانت تتم بين القبائل الزنجية، وعلى هذا شكل الزنج عنصراً مهمًا من عناصر السكان

والجيش، بعد أن اعتنقوا العقيدة الإسلامية، ولعبوا دورا خطيرا فى حياة الدولة الإسلامية. كما كان من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية قيام العرب باستغلال المناجم فى الساحل الشرقى لأفريقيا، فاستخرجوا الذهب والفضة والنحاس والحديد، ويؤكد هذا ما ذكره أبو الفدا من أن معايش أهل الساحل من الذهب والحديد، وكانت كميات كبيرة من الذهب ترد إلى الدولة الإسلامية من سفالة، حتى سميت بسفالة الذهب ، كما أن أبا الفدا اسماعيل سلطان حماة فى كتابه «تقويم البلدان» يتحدث عن شرق افريقيا حديثه عن جبال كليمنجارو ، وحديث أبى الفدا الذى ربما اعتمد فيه كثيراً عن ابن سعيد، يوضح أن العرب عرفوا مناطق فى داخل افريقيا لم يصل إليها الأوروبيون الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى، ولم يقتصر ابو الفدا فى حديثه على زنوج شرق أفريقيا، وإنما عنى أيضاً بأخبار الزنوج، الذين عاشوا فى البلاد العربية .

كما أن العرب أدخلوا إلى شرق أفريقيا تربية الإبل فى منطقة الساحل الشرقى للقارة، واعتنى العرب أيضا بتربية الماشية والأغنام عناية فائقة؛ حتى أصبحت الجلود من بين صادرات المنطقة، وهكذا كان للإسلام وللعرب والمسلمين تأثير واضح على مظاهر الحضارة والحياة الثقافية والعمرانية والاقتصادية فى شرق افريقيا بل تخطى الأمر ذلك إلى الأثر الواضح فى الحياة الإجتماعية؛ حيث كان أعظم مظهر من مظاهر هذه المشاركة الاجتماعية والاندماج، الذى تم من أثر اختلاط القبائل العربية بقبائل البانتو الزنجية والصوماليين وسكان الجزء الشمالى أرتيريا والحبشة ، حيث كان من تنتجه هذا الاختلاط شعب الصومال، الذى جاءت ملامحة قريبة جدا من الملامح العربية .

وعلى مر السنين ومع تزايد وتطور العلاقات العربية بشرق أفريقيا ، انتشر الإسلام واللغة العربية بين السكان الوطنيين، ولعب العرب دورا كبيرا فى تحفيظ القرآن الكريم وشرح تعاليم الشريعة وعلوم اللغة العربية، وكل ما يتعلق بأمور الدين الإسلامى بين الأهالى ، ولقد كان من نتيجة انتشار الإسلام فى المنطقة الممتدة من ساحل أرتيريا شمالا إلى سفالة جنوبا ، أن انتقلت إلى المنطقة مظاهر الحضارة العربية الإسلامية ، فاهتم السكان فى المنطقة على اختلاف عناصرهم بالعلوم الدينية واللغة العربية، حتى أصبحت براوة مثلا كجزيرة عربية على ساحل افريقيا الشرقى، تجذب إليها الطلاب من مختلف الأنحاء .

ومن هنا فإن الثقافة العربية الإسلامية- فى هذا الدور- تأثرت بموقع المدن الإسلامية وطبيعة الحياة فيها ، فالجهاد المستمر من أجل نشر العقيدة الإسلامية، والذى اضطلعت

به الامارات الإسلامية التى قامت على الشاطىء الشرقى لأفريقيا، جعلها تواصل المسيرة الإسلامية، لكى تخلق مجتمعاً إسلامياً ، بالإضافة إلى أن هذه الإمارات كانت مدناً تجارية، تشتغل قبل كل شىء بالنقل التجارى بين أفريقيا وبين أسواق الاستهلاك فى العالم كله ، وكانت هذه المدن على علاقة وثيقة بالعالم الإسلامى كله ، علاقة ببلاد الجنوب العربى (اليمن ، حضرموت ، عمان ، الاحساء ، بلاد الخليج ، الحجاز ، القاهرة ، بغداد وغيرها من البلاد الإسلامية العربية).

هذا الاتصال المستمر بالعالم الإسلامى ترك أثره فى الحياة الثقافية فى البلاد ، فقد نزحت إلى تلك البقاع النائية عن قلب العالم الإسلامى ومقر الخلافة الأموية والعباسية ، كل الفرق الإسلامية وجميع المذاهب الإسلامية المختلفة، التى عرفتها الحياة الإسلامية ، نزحت إليها الزيدية من الشيعة ، ونزحت إليها الأباضية من الخوارج، ونزح إليها بعض المعتزلة، وتنوعت المذاهب بتنوع طوائف الراحلين والمهاجرين، وكثر الراحلون المهاجرون من الاتجاه المعاكس من شرق أفريقيا إلى بلاد اليمن وجزيرة العرب عامة .

كما كان فقهاء اليمن وعلماؤها أكثر المسلمين وفوداً إلى هذه الجهات ، حيث طبعوا الحياة بطابعهم الإسلامى وأثروا فى الحركة الإسلامية تأثيرا واضحا، ومن هنا رأينا فقهاء الحجاز واليمن ينتشرون مثلاً فى الجزء الشمالى من شرق افريقيا، بل إن دورهم قد تعدى دور الوعظ والإرشاد وشرح التعاليم الدينية، إلى تشجيع حركة الجهاد الإسلامى فى سلطنة عدل، وفى امارة هرر يحضون على الجهاد ويحرضون عليه.

كما أن مسلمى شرق أفريقيا كانت لهم صلة بمصر ، اتصلوا بها اتصالا اقتصاديا وثقافيا ، وكان تجار مصر يختلفون إلى اسواق الحبشة، وكان تجار مدن افريقيا الإسلامية يختلفون إلى مصر ، وكان المسلمون الراغبون فى الاستزادة من العلم يفدون إلى مصر للالتحاق بالازهر ، وقد أنشىء لهم بهذا الجامع العالمى، صاحب الرسالة الإسلامية والمحافظ على حياة العروبة والإسلام ، رواق لأهل زيلع ، ورواق للجبرت، ولهذا طبعت هذه الثقافة بطابع دينى عميق ، فقد سيطر الفقهاء ورجال الدين على حياة المسلمين، وتحكموا فيها، ومن ثم كان وراء حركات الجهاد التى اضطلع بها سلاطين عدل، أو الأمراء الأئمة الذين ظهروا فى هذه البلاد منذ القرن الخامس عشر ، وكان هؤلاء الفقهاء يشتركون فى القتال، ويحرضون عليه، بل إن هؤلاء الأمراء والسلاطين كانوا يأتمرون بأمر هؤلاء الفقهاء، ويتلقون منهم التوجيه والإرشاد، وقد اصطبغت الحياة الإسلامية فى هذه الجهات فى القرن الخامس عشر بلون دينى عميق، متفهم لأمور الإسلام، وملتزم بالتعاليم الإسلامية .

وقد أشار المقريزى إلى هذا الطابع الملتزم بقوله، وهم يتشددون فى ديانتهم تشددا زائدا، ويعادون من خالفهم من ساير الملك أشد عداوة ، كما لاحظ محافظتهم على عقيدتهم إلى حد المغالاة ، كذلك اضطلع الأمراء والسلاطين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقد تجلت الحضارة العربية فى شرق أفريقيا، فى المبانى المعمارية وتخطيط المدن وزحارف الأبواب والشبابيك، وكما أدخل العرب فن النقش والحفر والنحت وعقود البناء العالية والفسيفساء المتحدة مع الرخام الملون وظهر ذلك بوضوح فى قصور كلوه ومساجدها ومن هنا كانت مظاهر الحضارة الإسلامية ظاهرة فى كل عمليات التشييد والبناء والتطور المعمارى.

ولقد كان ذلك التطور الحضارى فى بناء المساجد غلبة يعنى الطابع الدينى على الثقافة العربية الإسلامية ، ومن هنا فإن مدن شرق أفريقيا جميعها قد شهدت ظهور البلاد بالمظهر الإسلامى، وقد تجلى ذلك فى كثرة الجوامع والمساجد، التى تقام بها الخطب والجمع والجماعات، وكانت المساجد تمثل عند أهل شرق افريقيا مكاناً لتلقى العلوم الإسلامية وحفظ القرآن الكريم ، ذلك لأنه لم تكن واضحة الظهور، بل على العكس فقد كثر عندهم الفقهاء والعلماء والزهاد والإبرار وغيرهم من أئمة العلوم الإسلامية .

وهذه الأهداف العلمية والحقائق التاريخية الإسلامية الثابتة تحدد لنا الدور، الذى لعبته الحركة التعليمية الإسلامية كمظهر من مظاهر التطور الحضارى الثقافى الإسلامى، فى هذه البلاد، الذى كان طابعها طابعًا إسلاميًا صرفاً، خالياً من كل المؤثرات الوثنية، التى كانت منتشرة بين القبائل الأفريقية ، ومن هنا يمكن القول أن النشاط التعليمى فى علوم الدين والعربية كان يتقدم بمدى انتشار الإسلام بين الأفارقة، ومدى استجابتهم لتلقى العلوم الإسلامية، التى كانت تلقى قبولا وترحيبا من سكان البلاد، بمجرد إعلان إسلامهم، إذ كانوا يسعون إلى حفظ القرآن الكريم، ومعرفة العلوم الإسلامية، ومبادىء التعليم الإسلامى كالفقه والتفسير والحديث، وغيرها من العلوم المتعلقة بالثقافة العربية الإسلامية، مثل علوم اللغة العربية.

ومن هنا فإننا نشاهد أنه فى أية بقعة من بقاع شرق أفريقيا، كانت القافلة الإسلامية يحط رحالها، كان الإسلام ينتشر قبل أن ترحل القافلة التجارية إلى مكان آخر، ومن هنا كان الفقهاء والعلماء يسعون خلف هذه القوافل أو بصحبتها، بل إنه كان عديد من التجار هم

الفقهاء والعلماء ورجال الدين ، والذين كانوا يسعون لإقامة المساجد لتأدية الصلاة واتخاذها أماكن لتحفيظ القرآن الكريم، أو انتشار الكتاتيب المجاورة لها؛ للقيام برسالة تحفيظ القرآن الكريم ، لذلك كانت استجابة شعوب الساحل الشرقى للقارة الأفريقية للدخول فى العقيدة الإسلامية من الأسباب القوية لارتفاع المستوى الثقافى والعلمى والحضارى والاجتماعى لشعوب تلك المنطقة، بل أكثر من ذلك فإن تلك الشعوب الأفريقية التى اختلطت بالعرب الوافدين، وظهر جيل المولدين مسلمى العقيدة، وتعربوا لسانا، وامتزجوا جنسيا، ينظرون إلى الخلافة الإسلامية فى دمشق أو بغداد أو القاهرة؛ باعتبارها الوطن الأم مركز الخلافة؛ فضلاً عن كونها موطن الحضارة والثقافة والعلم والفكر فى ذلك العصر، ومن هنا كان ذلك من أهم الآثار التى ترتبت على الهجرة العربية إلى تلك السواحل، والتى توضح مدى عمق العلاقات بين العرب وسكان ساحل شرق أفريقيا، ومن هنا ازدادت العلاقات وتنوعت فى مختلف المجالات ، فلم تقتصر العلاقات على النواحى الاقتصادية والتجارية ، بل إن تلك الروابط والصلات قد تعدت إلى عديد من المجالات المختلفة التى تشاركت فى ربط المظاهر الحضارية الإسلامية مع موطن الخلافة الإسلامية، فى موطن العرب القادمين منه .

وهكذا تركت المؤثرات الإسلامية أهم مظاهرها الحضارية والاجتماعية فى أنه لم يمض وقت طويل حتى أننا رأينا العرب لم يلبثوا إلا قليلا من الوقت، حتى رأيناهم قد اندمجوا فى السكان الأصليين وتزاوج الفريقان وتصاهرا واختلطت الأرحام والأنساب. ويمضى الوقت ظهر جنس عربى إسلامى افريقى مولد، فيه كثير من الصفات والعادات والتقاليد والأعراف العربية، وأصبحت الإمارات العربية مزيجا تجمع فى أنظمتها بين أصول عربية إسلامية عميقة الجذور، وبين مظاهر افريقية تلاءمت مع التعاليم العربية الإسلامية والتقاليد والعادات العربية؛ بحيث إنه لم يعد هناك أى مظهر من مظاهر الوثنية القديمة .

بل إنه من أهم مظاهر ومعالم الثقافة العربية الإسلامية، ظهور اللغة العربية بمظهر العامل المشترك فى لغة التفاهم بين السكان؛ بحيث إنه لم تكن هناك لغات أفريقية مكتوبة أو منطوقة، كذلك فإن الذى لا يدانيه أدنى شك أن العرب المهاجرين وأخوانهم الفرس قد حملوا معهم جميعا إلى تلك الجهات معالم حضارتهم الإسلامية ، ومن هنا ظهرت تلك المعالم الحضارية الإسلامية فى كل الأمور اليومية الحياتية .

ومن هنا فإننا نجد أنه إذا كان كوبولاند قد أشار فى كتابه «شرق أفريقيا» يدعى أو يقرر أن العرب الذين استقروا فى شرق أفريقيا، كانوا يمثلون طبقة ارستقراطية حاكمة، لها

السيادة والتفوق فى كل الأمور، التى تجرى على أرض تلك الأنحاء ، إلا أنه رغم الأقوال، والتى ربما كانت تمثل بعضاً من مظاهر الصحة ، إلا أن ذلك لا يعنى أن العرب كانوا بعيدين عن سكان البلاد الأصليين أو متباعدين عنهم ، ولكن كل الحقائق والوقائع، التى كانت تجرى على الساحة تبين لنا أنه كان هناك تقارب وتجانس واختلاط ومصاهرة؛ مما ساعد على ذلك الاختلاط والاندماج، وفى ذلك يعترف كوبلاند حيث يقول إن روح المحبة والأخوة والمساواة والتعاون، هذه العوامل هى التى ساعدت على خلق ذلك الجو الملائم بين السكان الأفارقة، وبين المهاجرين العرب، والتى ترتب عليها الزواج والمصاهرة وصلة الأرحام والأنساب ، ومن هنا كانت ثمرة ذلك الاختلاط، ذلك الشعب السواحيلى، الذى يسكن تلك المنطقة، وهو ثمرة ذلك الزواج التى تم بين الجاليات العربية والفارسية، التى استقرت فى شرق أفريقيا وبين قبائل البانتو الأفريقية الشرقية، التى كانت تنتشر فى الساحل الشرقى حتى حوض الكونغو .

ومن هنا كان بانتو أفريقيا الشرقية قد تأثروا بالاختلاط بالعناصر العربية، منذ عصور قديمة، ولكن هذا التأثير لم يكن بدرجة واحدة، وهو اشد ما يكون على الساحل ومنطقة البحيرات، وما يليها شرقا من إقليم السافانا والجهات الشبه صحراوية، وامتدادها على سواحل المحيط الهندى .

وقد اعتنق السواحليون- نتاج ذلك الزواج بين البانتو والعرب- العقيدة الإسلامية ديناً لهم، وصاروا يقلدون العرب فى كل ما يتصل بحياتهم الاجتماعية، ومع أن السواحليين كما سبق القول ينحدرون أصلا من قبائل البانتو الشرقيين، إلا أن ملامحهم وصفاتهم الجسمانية قد تعدلت إلى حد كبير؛ نتيجة لامتزاجهم بالدماء الآسيوية، ومن الجدير بالذكر أن السواحليين يقسمون أنفسهم من ناحية السلالة البشرية إلى مجموعتين رئيسيين، هما السواحليون الشماليون، ويقولون إنهم من نسل العرب الأوائل، الذين هاجروا إلى ساحل افريقيا الشرقى فى القرن العاشر الميلادى ، الرابع الهجرى ، وأسسوا مدينتى مقديشيو وبراوة، والسواحليون الجنوبيين ويقولون إنهم انحدروا من سلالة المهاجرين الفرس القدامى، الذين أسسوا مدينة كلوه حيث كانوا من شيراز .

ومهما يكن من أقوال بشأن السواحليين وتقسيمهم إلى قسمين شمالى وجنوبى ، إلا أن هؤلاء القوم هم نتاج مشترك لمظاهر الحضارة الإسلامية سواء اكانت أصولهم عربية أم فارسية ، ولكن الإسلام وحضارته ومظاهرهم وأصولهم العرفية، هى الرباط المشترك الذى يجمعهم برباط واحد .

وعلى أية حال.. فإن السواحيلية اسم، تواترت الأقوال على أنه يدل على الجنس الخليط، الذى نعنى به طائفة المولدين من هذا الزواج، الذى تم بين أهل ساحل شرق القارة الأفريقية وبين العرب الذين كانوا يعيشون فى معظم سواحل شرق افريقيا، أو على وجه التحديد ساحل الزنج، الذى يقع مباشرة جنوب الصومال ، هذا بالإضافة إلى أنه كان تتوافد على المنطقة عناصر أخرى إسلامية غير العرب ، ومن هنا فإنه من الواضح أن كلمة الشعب السواحيلى اشتقت من سواحل، ومفردها ساحل، وهو اسم استخدمه كتاب العرب لدلالة على أفريقيا الشرقية. ومنذ عصور قديمة متوغلة فى القدم ترجع إلى القرن السابع أو السادس قبل الميلاد، كما ذكر المؤرخ الأغريقى عام ٤٥ ميلادية فى كتابه «دليل البحر الأرتيرى» أن التجار العرب استقروا على الساحل الغربى للبحر الأحمر والمحيط الهندى، وتزواجوا وتصاهروا مع سكان أهل البلاد، وأنه بمرور الزمن وباستمرار عمليات التعامل التجارى والهجرة المتواصلة أو المنطقة والاستقرار على الساحل، نشأ ذلك الشعب السواحيلى، ومن ثم تبعه ظهور تلك اللغة، التى يطلق عليها علماء اللغة، اللغة السواحيلية (انظر الباب الأول) .

ولقد كانت تلك اللغة الأفريقية السواحيلية الجديدة، أو ذلك اللسان السواحيلى فى أصله لغة من لغات البانتو، والتى كانت أفريقية فى بنائها، ولكنها متأثرة تأثراً كبيراً باللغة العربية فى مفرداتها، وتختلف طبيعة هذه اللغة بطبيعة الحال، باختلاف القبائل التى كان يحتك بها العرب احتكاكا قويا أو ضعيفا، أو باختلاف الجهات التى كان يتردد عليها العرب، يحكم عملهم التجارى ووصول الدعوة الإسلامية ، وفى الأصل هى لغة من لغات البانتو، ويظن أن اصول هذه اللغة من أصول لغة قبيلة جرياما Giryama، وهى تعيش إلى الشمال من ممباسا، وليس من المستبعد أن يكون الاتصال الأول بالمهاجرين العرب تم فى هذا الإقليم، ثم أخذ ينتشر تدريجياً فى كل اتجاه أو نظرا لأهمية لغة السواحيلى، فقد ألفت بها الكتب وعملت لها معاجم، وهى من أكثر اللغات، التى تدرس فى المعاهد المخصصة للدراسات الأفريقية وهكذا ظهرت تلك اللغة؛ لأن اغلب الذين كان يحتك بهم العرب فى الساحل الأفريقى الشرقى، من شعب البانتو الشرقيين الذين كانوا يتكلمون لغة البانتو .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكلمات العربية هى أكثر، والكلمات التى دخلت فى مفردات اللغة السواحيلية ، لأن الأثر العربى فى الشعب السواحيلى، كان أطول وأعمق فى كل المؤثرات الإسلامية الأخرى التى وفدت إلى الساحل؛ حيث إن الأثر العربى يمثل التجارة والانتقال والاستيطان والاقتصاد والثقافة والاختلاط والاندماج وهكذا استطاع الاتصال العربى

أن يوجد تلك اللغة، التى صارت اداة لغوية واسعة الانتشار فى النصف الشرقى من القارة الأفريقية، وهى التى سهلت التعامل والتفاهم بين أبنائهم، ومن أجل ذلك لم تتردد حكومة تنزانيا فى جعلها لغة رسمية لها، وهى منتشرة فى تنزانيا وكينيا وروندى ، وبروندى ، وأوغندا.

ولا شك أن تلك اللغة قد تكونت فى بيئة مختلطة، تتكون من العرب والبانتو، وإلا لما سميت بهذا الاسم العربى الصريح، والظاهر أنها لغة مرنة؛ لأنها تشتمل أيضاً على ألفاظ من بعض اللغات الحامية والأوربية، وعلى وجه الخصوص اللغة البرتغالية وفى ذلك يقول رويش Reusch، وهو أحد المتخصصين فى اللغة السواحيلية وتاريخها، وقام بتأليف معاجم لها، ومتتبع أصولها، وهو يذكر أن المفردات العربية فى اللغة السواحيلية لا تقل عن ٢٥ ٪ من مجموع مفرداتها، إن لم تصل إلى ٣٥ ٪ .

وانتشرت اللغة السواحيلية انتشاراً عظيماً، وعم استعمالها جميع الطبقات فى شرق أفريقيا وأصبحت اللغة الرسمية على طول الساحل الشرقى للقارة الأفريقية ، كما عدت لغة التجارة فى المخاطبات بين القبائل فى كل أرجاء المنطقة، وتعتبر السواحيلية (اوكى سواحيلى من لغات البانتو (بفتح الباء وسكون النون)، وتشتمل على مفردات كبيرة من اللغتين العربية والبرتغالية أولا، ثم الإنجليزية، وتعد السواحيلية من أهم اللغات الأكثر تداولاً فى العالم المعاصر، والسواحيلية لغة تطرب السامع ، فإن الحركات التى تنهى بها كلماتها، والحركات التى على ما قبل آواخر الكلمات يجعلها قريبة الشبه فى النطق باللغة الإيطالية، وقد جاءت حركاتها الحلقية من اللغة العربية، وقد تلطفت هذه الحركات بحيث يستطيع الأوروبى أن ينطق بها بسهولة، ويتكلم أهالى شمال مدينة ممبسا بجزيرة لامو، التى تعد أصل اللغة السواحيلية بهذه اللغة خالصة نقية، وقد انتشرت السواحيلية تدريجيًا نحو الجنوب، وعلى الساحل الأفريقى الشرقى، وفى الجزر حتى وصلت جنوبا إلى بلاد موزمبيق ، لذلك امتزجت شيئًا فشيئًا بألفاظ وتعبيرات عربية وفارسية وهندية وبرتغالية وغيرها، وقد استعربت هذه اللغة ببلاد زنجبار بوجه خاص، وآداب اللغة السواحيلية وافرة المادة نوعًا ، فقد ترجم رجال التبشير، ضربًا للحركة والدعوة الإسلامية فى تلك المناطق، التوراة والإنجيل باللغة السواحيلية، كما ترجم إليها عديد من الكتب المسيحية، ونشرت بها عدة رسائل عن الأمثال الدارجة وحكايات وأقاصيص وأشعار مختلفة، وقد انتشرت السواحيلية، وأصبحت لغة المعاملات التجارية والمالية والاقتصادية، وذلك فى أراض تبلغ مساحتها ألف فرسخ ، وقد

نقلها الملاحون والتجار من الأهالى على سفنهم من الساحل الشرقى للقارة الأفريقية إلى الثغور البحرية ببلاد الصومال وعدن، وعلى الساحل الجنوبى ببلاد العرب حتى الخليج العربى والمحيط الهندى، ووصلت إلى الهند فى مدينة بمباى، وانتشرت جنوبًا فى بلاد موزمبيق وجزائر القمر وجزيرة مدغشقر .

كما انتشرت اللغة السواحيلية على أيدى التجار فى داخل القارة الأفريقية، وهى منتشرة فى بعض جهات أوغندة، وفى أجزاء من جنوب السودان ، وإذا سرت فى النيل من أوغندة شمالا، رأيت مدى انتشار اللغة العربية، التى يتكلمون بها بلهجات مختلفة فى معظم هذه الأرجاء، والتى أخذت تحل محل اللغة السواحيلية؛ باعتبارها لغة المعاملات التجارية والمالية ، كذلك انتشرت اللغة السواحيلية فى حوض الكونغو، وفى جميع انحاء نياسة لاند، وهى لغة رسمية لتنجانيقا ، حيث لا توجد مدينة ولا قرية صغيرة لا يتكلم أهلها اللغة السواحيلية ، وكذلك انتشرت اللغة السواحيلية فى حوض بحيرة فكتوريا، وفى سفوح جبال كليمنجارو وكينيا، بحيث أصبح لاغنى عنها للسياح ورجال الدعوة الإسلامية، الذين تربطهم علاقات تجارية ببلاد أفريقيا الشرقية .

ويذكر اندرسون فى كتاب «الوحدة والترابط فى الحضارة الإسلامية» إن اللغة السواحيلية هى التى تمثل اختلاط المهاجرين العرب بدماء البانتو الحاليين، وأنها صارت لغتهم ، كما أنها انتشرت أيضا بين السكان الأصليين مثل قبائل الديجو Digo فى كينيا والياوس Yaos فى شرق افريقيا البرتغالية وتياسالاند (زامبيا) وزمبابوى، كما انتشرت بين قبائل الجلا والصوماليين، الذين يلاحظ أن التأثيرات العربية فيهم مباشرة ومستمرة ، وقد قام معلمو المدارس من السواحيلية بنشاط ملحوظ بين الأهالى، الذين يقيمون من الداخل على مسافة قصيرة من الساحل بين الأهالى ، ثم تضاعف هذا النشاط فى مستهل القرن العشرين؛ حتى مقاطعة كليمنجارو شمالا وبحيرة نياسا جنوبا .

كما ذكر لورينزو تيرنر Lorenzo Turner فى كتابه «أفريقيا اليوم» لما لاحظ انتشار اللغة السواحيلية فى شرق القارة، أنه يجب أن تلقى اللغة السواحيلية التى تعتبر لغة المعاملات التجارية والمالية قبولاً من جميع المدارس وأنه لا يعنى بدراستها فقط فى مدرسة الدراسات الأفريقية فى كلية شرق أفريقيا الجامعية .

ولقد افاد ذلك المؤرخ بأن طغيان اللغة السواحيلية يحول دون التوسع فى استعمال اللغة الإنجليزية كأداة للتعليم فى المراحل الابتدائية والثانوية ، ولكن قوة اللغة السواحيلية حالت

دون ذلك، فما كان من تنجانيقا بعد أن حصلت على استقلالها مباشرة إلا أن تعلن استخدام اللغة السواحيلية لغة رسمية للدولة .

بل اكثر من ذلك فإن الذى أثار حقد الأوربيين على انتشار اللغة السواحيلية كتابة حروفها بالحروف العربية، شأنها شأن اللغة التركية (تم تحويل حروفها إلى الحروف اللاتينية بعد ثورة كمال اتاتورك، وكذلك اللغة الفارسية فى إيران، واللغة الأوردية فى باكستان، والهوسا فى غرب أفريقيا) ومن ثم عمل رجال التبشير والاستعمار بجعل الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية .

لكن لاتزال حتى اليوم لدى قبيلة انتيموورونا بجزيرة مدغشقر، مؤلفات خطية قديمة العهد مكتوبة بالحروف العربية، وقد حافظت بعض سلالة المهاجرين من العرب على استعمال الحروف العربية فى الكتابة، وتوجد فى دار الكتب الأهلية بباريس محفوظة ملجاشية (مدغشقر) عربية، أو مدونة بلغة عربية ممزوجة بكلمات ملجاشية، وقد أخذ الملجاش سكان مدغشقر فى كتابتهم للغتهم بالحروف اللاتينية، فى ظل الاستعمار الفرنسى .

وهكذا نرى كيف كانت اللغة السواحيلية إحدى المظاهر القوية للمظهر الحضارى الإسلامى، الذى يتحدى كل الإدعاءات الاستعمارية، فى محاولة التهوين من الدور العربى الإسلامى فى شرق أفريقيا ، ثم أن سماحة الإسلام وتعاليمه الخالدة وروح التسامح والمساواة والإيمان بأنه لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى، هى التى ساعدت على الاندماج والانصهار بين العرب وسكان الساحل من البانتو، ومن ثم تكون الشعب السواحيلى، الذى هو نتاج مشترك بين العرب والبانتو .

وهكذا ساهم الإسلام وأهله بما ملكوا من صفات وخصائل حضارية عريقة، وثقافة إسلامية عربية فى ظهور تلك الديار بالمظهر الحضارى المتطور، وتدرجت شعوب الشاطىء الشرقى للقارة الأفريقية فى مدارج الحضارة الإسلامية، بحيث كانت الصورة التى كانت عليها كلوه ، زنجبار ، مقديشيو ، ببا ، ممبسا ، بات ، سفاله، صورة مما عليه مدن الشرق الإسلامى كصنعاء ، الحديدية ، حضرموت ، الإحساء، المدينة المنورة ، مكة المكرمة ، القاهرة ، دمشق، وذلك يكون الرباط الإسلامى ، والمظهر الإسلامى هو الطابع المشترك بين كل هذه المدن الإسلامية، التى ترفع راية التوحيد، وتعيش تحت شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتستظل براية القرآن وأنوار الدعوة الإسلامية .

وقد أخذ كثير من هذه المفردات إلى هذه اللغة، وأصبح عمودها الفقرى، بل الأساس الذى قامت عليه تلك اللغة، وذلك لأن الألفاظ والمفردات العربية قد اتخذت كمصطلحات فى الدين الإسلامى والعبادات والمعاملات وفى التشريع، بل فى التجارة والاقتصاد والعمارة وأسلوب التعامل اليومى بل أنها أكثر بروزاً فى آثار المعالم الحضارية الإسلامية العربية، وقد كتبت اللغة السواحيلية قبل العصر الاستعمارى القديم البرتغالى – الأوربى الحديث فرنسا – المانيا – إنجلترا بحروف عربية، وإن كان لا يعرف على وجه التحديد التاريخ الذى استخدم فيه الخط العربى للكتابة ، إلا أنه من المرجح أن ذلك الخط العربى قد استخدم على وجه التقريب فى القرن الحادى عشر الميلادى ، الخامس الهجرى إن لم يكن فى القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى حيث كانت الهجرة العربية الإسلامية قد انصهرت واندمجت فى المجتمع الأفريقى السواحيلى ، وما زال الخط العربى مستعملا فى كتابة اللغة السواحيلية فى بعض المناطق .

وإن كانت اللغة السواحيلية تكتب حاليا بحروف لاتينية وذلك حينما تعمد رجال التبشير والاستعمار، الذين سيطروا على تلك المنطقة منذ القرن الخامس عشر الميلادى حتى القرن العشرين (١٩٦٠) حركة الاستقلال الأفريقى، قد عمدوا بصفة خاصة إلى تحويل حروف هذه اللغة من الحروف العربية التى كانت تكتب بها قبل قدومهم للقارة إلى الحروف اللاتينية ، بل إنهم فى تحويل مفرداتها إلى الكلمات اللاتينية، فإنهم عملوا بكل الوسائل والطرق على استبعاد الالفاظ والكلمات والمفردات العربية بشتى الطرق، ومحاولة إبعاد كل ما يتصل بهذه المفردات بالدين الإسلامى واللغة العربية (راجع كتابنا : أخطار التبشير فى العالم الإسلامى ، فصل التبشير فى شرق افريقيا ، فصل التعليم كوسيلة من وسائل التبشير ، اللغات الأفريقية)؛ وذلك لإضعاف الصلات بين العرب والأفارقة، والقضاء على كل المؤثرات والمعالم الحضارية العربة الإسلامية فى تلك البقاع، التى تشكل الظهر القريب لمصدر الدعوة الإسلامية، الحجاز .

ومما هو جدير بالذكر أن اللغة السواحيلية قد انتشرت انتشاراً واسعًا فى شرق أفريقيا كلها، مثلها مثل لغة الهوسا فى غرب أفريقيا ، وذلك نتيجة ازدياد الحركة التجارية ، كما

حملت القوافل العربية اللغة السواحيلية معها إلى داخل القارة ، إلى حيث تمتد طرق القوافل إلى البحيرات الاستوائية وحوض الكونغو ، وبذلك أصبحت اللغة السواحيلية هى لغة المعاملات العربية، بين مجموعة السكان فى أفريقيا الشرقية .

إلا أنه مع كل هذه التغيرات الجنسية السلالية واللغوية.. فإن اللغة العربية قد ظلت هى اللغة الرسمية لإمارات الساحل الممتدة شمالا وجنوبا؛ حيث إن اللغة السواحيلية لم تتاح لها فرصة التطور والنمو .

ولقد ترك انتشار اللغة السواحيلية أثرها فى الحياة الاجتماعية؛ نتيجة ازدياد انتشارها تبعاً للنشاط الاقتصادى؛ فقد فرضت هذه اللغة على سير الحياة اليومية على طوائف السكان الذين يعيشون فى تلك المنطقة، ومن هنا كانت وحدة الدين واللغة من العوامل التى ساعدت على التعاون لخير المجتمع، وقد كانت طبقات المجتمع- كما وضحت فى ذلك العصر- أربعة طبقات، كما أشار إلى ذلك كوبولاند فى كتابه «شرق أفريقيا والقادمون» ، أو «الغزاه» ، وتلك هى اقوال أوربية؛ حيث إن الإسلام لا يعرف نظام الطبقات لأن الجميع أخوة متساوون فى ظل الإسلام لكنه قال أن الأرستقراطية العربية كانت هى صاحبة الكلمة فى البلاد ، ثم تأتى بعدها طبقة الهنود الباكستانيين المهاجرين، وكانت تملك أغلب سفن المحيط الهندى، وكان الهنود المسلمون مهرة فى الشئون المالية والمصرفية، وركزوا فى أيديهم الحركة التجارية ، ثم ظهرت تلك الطبقة المشار إليها وهم السواحيلية .

والذين كانوا خليطاً من المهاجرين العرب وأهل البلاد الأصليين (المولدين) ، والذين كانوا يتكلمون اللغة السواحيلية ، ثم الطبقة الرابعة وهى طبقة العبيد، الذين كانوا يشترون بالمال، يقومون بالأعمال اليدوية فى المزارع والمصانع والتاجر، هذه الطبقات كلها تعاونت معاً بصورة فريدة من أجل تطور المجتمع، وأنه كانت جميعها تتكلم اللغة السواحيلية . وهذا مظهر من مظاهر انتشار المعالم الحضارية الإسلامية .ولقد ظهرت مآثر الحضارة العربية الإسلامية واضحة فى شرق أفريقيا، لكن المصادر الأوروبية فى معظمها حاولت التقليل، بل التهوين المتعمد فى دور العرب والإسلام والمسلمين وتأثيرهم الحضارى فى شرق أفريقيا ، فنجد أنهم يشيرون إلى أن العرب لم يهتموا بإدخال الزراعة، إلا بالقدر الذى يفى احتياجاتهم، وما يكفيهم من الاستهلاك دون التصدير ، وتلك حقيقة علمية خاطئة؛ إذ أن حركة

تصدير المحاصيل الزراعية إلى خارج الساحل، وإدخال المحاصيل المتعددة، التى لم تكن معروفة من قبل تكذب هذه الأقوال، إضافة إلى قول المعادين للإسلام والمسلمين والعرب والعروبة إلى أن كل ما انصرف إليه العرب وإخوانهم المسلمون من فارس والهند، هو إشباع نهمهم فى تجارة الذهب والعاج والرقيق ، ولكن حقيقة الأمر أن العرب أدخلوا محاصيل زراعية من آسيا إلى شرق أفريقيا، اعترف بها بعض المنصفين المحايدين من كتاب الغرب ، وأنهم أقاموا صناعات معدنية، وإنتاجاً معدنياً فى الحديد والذهب والماس .

مع الملاحظة أن الأوروبيين لم يدخلوا الزراعة فى شرق أفريقيا، إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، رغم وصولهم إلى تلك المناطق فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وأنهم فى ذلك كانوا يستغلون الثروة البشرية والزراعية أسوأ استغلال، وهكذا كان المظهر الاجتماعى- الذى هو أحد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية الواضحة المعالم- قد أخذ من الشعبين بنصيب؛ حيث نتج عن الامتزاج بالأفارقة، ظهور تلك الثقافة المميزة الواضحة المعالم، والتى أخذت من الشعبين بنصيب، حيث استقرت اللغة السواحيلية لغة قائمة بذاتها مزيجاً من الذى أتى به العرب، والذى كان ملكاً خالصاً للأفارقة.

وهكذا كان الفضل العربى الإسلامى فى شرق أفريقيا فضل لا ينكر، إذ أدى إلى قيام عدة مدن إسلامية على الساحل الشرقى لأفريقية، والحق أن تلك المدن نجحت نجاحاً كبيراً، ووصلت إلى درجة عالية ومتفوقة فى التحضر والازدهار، إلا أنه هنا يمكن القول بجدارة أن تلك المدن افتقرت إلى التنظيمات العسكرية، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أنها لم تقم نتيجة لفتح عسكرى، أو توسع استغلالى استعمارى، وإنما أسسها تجار أو مهاجرون أو مضطهدون رجال دعوة إسلامية، أو سياسيون، أو أصحاب فرق، أو مذاهب إسلامية تعارض نظام الخلافة الإسلامية، وهؤلاء جميعاً - بحكم استقرارهم فى تلك البقاع- لابد أن تكون علاقاتهم فى تلك البقاع علاقات سلمية إلى حد كبير مع الأهالى، الذين استقروا فى أوطانهم .

ومن هنا فإنه ما كاد القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى ينتهى حتى كانت تلك المدن- إلى حد كبير مع الأهالى الذين عاشروهم- قد استكملت مقوماتها وسماتها العربية؛ إذ ساعدت الهجرات العربية المتوالية على طمس معالم الفارسية والهندية، وتحولت تلك الإمارات إلى عربية صرفة .

وهكذا كانت مظاهر الحضارة الإسلامية-بجميع صورها وفروعها وألوانها- قد أخذت

خلال القرن العاشر الميلادى تأخذ بعداً جديداً إذ كان الإسلام قد انتشر فى تلك المراكز على نطاق واسع، وأصبح لكل مدينة مسجدها الخاص بها، وطابعها العربى الإسلامى الذى تجلى فى منازلها ومقر حكامها، ووكالاتها التجارية ومخازنها، ولباس أهلها، وأزيائهم ووسائل معيشتهم، وتقاليدهم وعاداتهم وأعرافهم، وقيمهم العربية الإسلامية ، وأنه رغم وجود بعض السمات الثقافية الفارسية، إلا أنها إسلامية فى جوهرها، وإن كانت بطبيعة الحال لم تبلغ القدر، الذى بلغته السمات العربية الخالصة فى ساحل شرق أفريقيا ، بل إن تلك السمات الفارسية، لم تلبث أن ضاعت فى غمار غلبة الحياة العربية أو السواحيلية على الساحل الشرقى، وظهرت سمات ومميزات الأمة السواحيلية الإسلامية، التى انضمت فى الحياة الإسلامية ومظاهرها الحضارية، التى أثرت تأثيراً قويًا فى الحياة العامة لتلك المجتمعات الإسلامية، التى لو استطاع حاكم قوى أن يخضع كل هذه الإمارات تحت قيادة واحدة أو قيادتين، أو تكون ما يشبه الاتحاد الفيدرالى بينها كان الوضع السياسى الإسلامى أقوى مما عليه فى صورة إمارات مستقلة، كل منها تمثل كيانا سياسيًا مستقلاً عن الأخرى ، بل الأدهى من ذلك أن العرب، الذين استوطنوا تلك المراكز الإسلامية لم يكتفوا بهذا الأسلوب الفردى فى إدارة دقة أمورهم السياسية ، بل إنهم نقلوا معهم خلافاتهم ومنازعتهم الأسرية والمذهبية، ولذلك ظهر العداء السافر بين هذه المدن بدلاً من الوحدة، بل زادت هذه الخلافات المذهبية ، فقد انتشر على سبيل المثال الأباضيون فى كثير من مدن شرق أفريقيا ، كذلك تولد فى نفوس المسلمين، سكان هذه البلاد الشدة فى التمسك بأهداب الدين، تمسكًا بالتراث الإسلامى من الضياع ، وكذلك وجد بعض أنصار المذهب الشيعى من الزيدية ، وكذلك أنصار المذهب السنى المتبع لمذهب أحمد بن حنبل ، وقد أدى ذلك أنه جعل من المستحيل قيام وحدة عربية إسلامية، تجمع بين هذه الإمارات طواعية .

بل إنه فى بعض الأحيان كانت تقوم عدة وحدات سياسية، تسند إلى التفوق وتوسع إحدى هذه المدن على حساب غيرها، كما نجحت ممبسا فى السيطرة على مدن الساحل، خلال بضعة أعوام من القرن الثانى عشر الميلادى، أو كما فعلت باتا فى سيطرتها على مدن الساحل من ماليندة شمالا إلى كلوه جنوبًا، فيما عدا زنجبار حوالى عام ١٣٣٠ ميلادية وكذلك حاولت كل من مقديشيو وبمبا وزنجبار فى أوقات متفرقة أن تفرض قيام وحدات من ذلك النوع .

وقد كانت تلك الوحدات السياسية الكبيرة التى ظهرت فى بعض الأحقاب التاريخية عاملاً مهماً، ساعد على نشاط حركة التيار الإسلامى، وطغيان المظاهر الحضارية الإسلامية على شتى نواحى الحياة اليومية .

وهكذا فإن الإسلام بسماحته قد فتح الأبواب على مصاريعها، أمام سكان شرق القارة الأفريقية، وأنه رفع عنهم الأمر والخوف، وكل ما يفتت روح الإنسان ، صحيح أنه كان هناك من يغلق هذه الأبواب الرحبة، أو يقارب بين بعضها بعضا ، ولكن هذا لم يحل دون تألف الإنسان الأسود فى بعض الفترات التاريخية ، بل أكثر من ذلك فإن أبناء شرق القارة الأفريقية كانوا قوة بشرية كبيرة، داخل نسيج الحياة العربية، وهكذا وضح أثر الحضارة العربية وثقافتها الإسلامية فى تلك المناطق .

ومن هنا ساعدت تلك الوحدة الاندماجية بين بعض الإمارات، فى أن يمتد النفوذ العربى الإسلامى إلى الداخل، ونشطت حركة الدعوة الإسلامية؛ حيث امتد ذلك التأثير الإسلامى، وقد وقف الإسلام وجها لوجه أمام الوثنية، واستطاع أن يكسر حدتها، وأن ينشر عقيدة الخلود بين شعوبها ، بالإضافة إلى أن القوة كانت طابع الازدهار الحضارى الإسلامى، وبالإضافة إلى أن الرخاء الاقتصادى كان هو السمة الظاهرة على سكان تلك الولايات. فإن هذه الامارات كان لها نظام سياسى دقيق، وتخطيط وحركة تجارية اقتصادية، ووسائل دفاع حربية، وقد ازدهرت التجارة فى تلك الإمارات، بعد أن بدأت مظاهر الحضارة الإسلامية فى كل بقعة وصل إليها المد الإسلامى .

وهكذا كانت تلك المدن هى المراكز الحقيقية للحياة الإسلامية؛ حيث عمل الفقهاء فى بلادهم على إنشاء الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وإلى هؤلاء الفقهاء يرجع الفضل فى نشر الإسلام والثقافة العربية، وهكذا مارس المسجد دوره فى إثراء الحركة الثقافية والتعليمية؛ والعلمية حيث إن المساجد لا تنشأ إلا فى المدن ، أما أهل القرى فإنهم يتخذون أماكن صغيرة تتسع لعدد سكان القرية عند الصلاة، وهى فى صورة مساجد، ولكنها مبنية من الطين والقش، أما مساجد المدن أو عاصمة الإقليم فكانت مبنية من الحجارة واستخدم الملاط فى بياض جدرانها، وكذلك تقش الآيات القرآنية على الخشب، كما استخدمت العقود فى بناء هذه المساجد .

ولقد ساعد على صبغ الحياة اليومية بالصبغة العربية الإسلامية، ذلك الدور الذى لعبه

الفقهاء فى إنشاء الكتاتيب فى كل مكان، وأنه لا يكاد يوجد مجتمع إسلامى، وإن صغر عدده، إلا وترى فيه مدرسة أو كتاب لتحفيظ القرآن الكريم يرأسه أحد الفقهاء، الذى يقوم بتحفيظ القرآن الكريم وأمامه المصلين فى الصلاة، والقيام بدور الطبيب فى علاج حالات المرض ومن هنا كان الفقيه هو روح القرية، وهو الذى يعلم القوم تعاليم الإسلام .

وهكذا صحب انتشار الإسلام والثقافة العربية تطبيق الشريعة الإسلامية؛ حيث كان عديد من الحكام شديدى الحرص على التطبيق، ومن هنا نجد أن بعض حكام هذه الإمارات أبطل الخمر واللعب والرقص والطبول؛ حيث إن هذا التطبيق كان يتوقف على استعداد الحكام، كما يتوقف على التقاليد القائمة، ومن هنا كانت الظروف هى التى تيسر تطبيق الشريعة الإسلامية.

كذلك يجب أن يكون واضحاً كل الوضوح أن الأثر الثقافى الحضارى قد بدأ ظاهراً، وذلك لكثرة سفر طلاب العلم من كلوه وزنجبار ومبسا وبمبا وبات ومدغشقر ومقديشيو إلى شبه الجزيرة العربية؛ لينهلوا من علوم المعرفة، وبخاصة فى الدين والفقه، وكان ذلك ما يهتم به الأمراء؛ فقد انتقل السلطان «أبو المواهب» (١٣٠٨ - ١٣٣٤م)، الذى هو السلطان أبو المظفر حسن، وكان يكنى بأبى المواهب؛ لكثرة مواهبه وكرمه، إلى عدن ومكة لطلب العلم قبل ارتقائه عرش السلطنة فى كلوه ، وكان قد وصل إلى مكة المكرمة، وهو لم يزل فى الرابعة عشرة من عمره، وقد تحدث عنه ابن بطوطة فى كتابه «تحفة النظار فى عجائب الاسفار وغرائب الأمصار» عن ذكر ذلك السلطان، الذى كان يحكم كلوه عند زيارته لها، وكيف أنه كان مقصد العلماء والفقهاء ورجال الدين والثقافة العربية الإسلامية، وكيف أن الشرفاء كانوا يقصدونه من العراق والحجاز وغيرهما من البلاد العربية الأخرى ، حيث إنه كان اذ جاءه الشرفاء، دفع إليهم نصيبهم من خزانته، كل على حدة .

كذلك ساعد تنقل طلاب العلم والمعرفة من ساحل شرق أفريقيا إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدن جنوب الجزيرة كحضرموت وصنعاء والحديدية والقاهرة وبغداد ودمشق، والتنقل بين كل هذه البلاد من أجل العلم، وقد ساعد على طبع البلاد بالطابع العربى الإسلامى؛ حيث ساعد كل ذلك على انتشار الإسلام، بالإضافة إلى ما تبع ذلك من خروج حجاج تلك الإمارات فى وفود الحج، كل عام إلى مكة المكرمة؛ لأداء الفريضة المقدسة، ومن هنا كان الحج عاملاً قوياً من عوامل الصلة والربط، وظهور المآثر الحضارية الإسلامية فى تلك البقاع .

كذلك كان هناك دور واضح لانتشار حركة العلوم والتعليم فى جميع أرجاء شرق أفريقيا فى المناطق الداخلية، وقبلها أيضا المناطق الساحلية، ولكن يبدو أن الحركة التعليمية لم تكن تتجاوز تحفيظ القرآن الكريم، ومعرفة بعض القراءة والكتابة، وأمور الحساب البسيطة كالجمع والطرح، ولكن لم يكن هناك تعمق فى دراسة علوم الدين الإسلامى الأخرى؛ حيث كان ذلك يستدعى من الطلاب أن يشدوا الرحال إلى مراكز العلم والمعرفة فى المدن، والعواصم الإسلامية المختلفة كالقاهرة وبغداد ودمشق والحجاز .

كذلك فإن حركة انتشار المد الإسلامى؛ اذ كانت قد وصلت إلى سفاله جنوبًا فإنها احتوت أيضا جزيرة مدغشقر، التى يفصل بينها وبين سفاله مضيق موزمبيق؛ حيث كانت هناك صلات وروابط ثقافية واقتصادية بين إمارات الساحل والجزر القريبة، وبين جزيرة مدغشقر وملاجاش، وكذلك جزر القمر حيث أصبح الإسلام هو دين الأغلبية فى تلك الجزر، كما اعتنقته إحدى قبائل مدغشقر، وهى من قبيلة الأنتيمرون، والذين يذكرون أنهم يحتفظون بكتب خطية عربية قديمة، يخرجون فيها أنسابهم إلى مكة، وهم الذين يعيشون فى الطرف الجنوبى الشرقى من جزيرة مدغشقر ، كما أن العرب أنفسهم نجحوا فى تأسيس سلطنة عربية إسلامية فى شمال الجزيرة، وقد ضمت المكتبة الوطنية فى باريس عدة مخطوطات عربية قديمة، عثر عليها بعض العلماء الفرنسيين، وقاموا بإهدائها إلى تلك المكتبة، والتى يستدل من هذه المخطوطات على أن شعب الأنتيمرون كان ثمرة اختلاط بين العرب النازحين وبين قبيلة الأنكارا التى تخضع لها الوجهة التنظيمية، وقد عرفت قبيلة الأنتيمرون هذه الكتابة العربية بعد الإسلام .

ويعتبر هذا بعداً جديدا من ابعاد انتشار المظاهر الحضارية العربية الإسلامية؛ حيث عمت الثقافة العربية أرجاء جزيرة مدغشقر، أكبر جزر شرق أفريقيا وهذ يعطى الدليل القوى على قوة تأثير الحضارة العربية الإسلامية فى تلك البقاع، وعن الدور العربى الإسلامى الذى لعبه المسلمون فى تلك الأرجاء، باعتبار أنهم رسل حضارة وثقافة ورقى وتقدم ودعاة سلام وإسلام، وليس تجاراً للرقيق الذى وصل ما نزح من أفريقيا منه على أيدى الأوربيين ما لا يزيد عن مائة مليون، بيعوا فى أسواق أوروبا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية ، وبهذا كان الوجود العربى يسعى فى انتشار تلك المظاهر الحضارية، وهكذا لعب الإسلام والمسلمون القادمون من الجزيرة العربية وغيرها من الأوطان الإسلامية دورهم المهم والأساسى- بعد

الاختلاط بالسكان الوطنيين- وظهور الشعب السواحيلى المسلم العربى اللسان ، فى أن تسود تلك البقاع من ساحل البحر الأحمر (منطقة أرتيريا) حتى جنوبا إلى سفاله فى موزمبيق وجزر القمر ومدغشقر ، مظاهر حضارية إسلامية تجلت فى أجمل صورها فى انتشار معالم الحضارة الإسلامية، وكذلك المعالم الثقافية العربية الإسلامية، التى زادت من صلة الربط والاتصال مع الساحل الشرقى للمحيط الهندى والخليج العربى وساحل البحر الأحمر .

ومن هنا كان دور الدعوة الإسلامية، التى تجلت فى أجمل صورها فى انتشار الإسلام على الساحل، وظهور تلك الولايات العربية الإسلامية الممتدة على طول الساحل ، بالإضافة إلى أن الإسلام قد اتخذ بعدا آخر فى حركته الامتدادية، وصولاً إلى حوض الكونغو ومنطقة البحيرات الاستوائية بل إنه وصل إلى الشاطىء الغربى للقارة، بعد أن كان الإسلام قد شق طريقه للداخل (راجع كتابنا : انتشار الإسلام فى حوض الكونغو) .

ومن ثم فإن كل هذه المظاهر الإسلامية كانت هى المحرك لظهور الإمارات العربية الإسلامية، التى تعرض لها فى الباب القادم، أو أن ظهور تلك الإمارات الإسلامية ، كان المؤثر الأساسى فى ظهور تلك المناطق، بذلك المظهر الإسلامى، الذى تجلى فى أبهى صوره، بالاتصال بكل الاقطار الإسلامية فى الشرق .

* * *